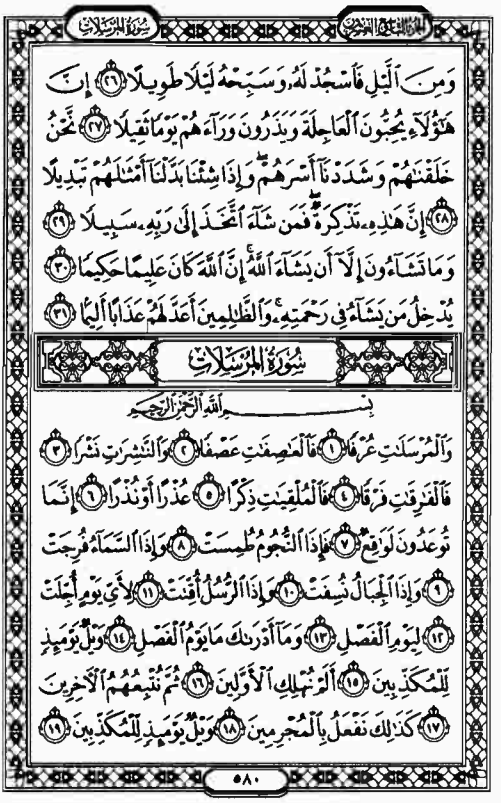
وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ
خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا
﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾
وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾
يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

سُورَةُ المُرۡسَلَٰتِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ
﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ
لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ
﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

٥٨٠

معانى الكلمات :

بكرة وأصيلا : أول النهار وآخره .

ثقيلا : شديد الأهوال .

وشددنا أسرهم : أحكمنا خلقهم .

والمرسلات عرفا : قسم برياح العذاب متتابعة .

فالعاصفات عصفا : الرياح الشديدة الهبوب المهلكة .

والناشرات نشرا : الملائكة تنشر أجنحتها .

فالفارقات فرقا : الملائكة تأتى بالوحى فرقانا بين الحق والباطل .

فالملقيات ذكرا : الملائكة تلقى الوحى إلى الأنبياء .

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نستشعر قدرة الله المحيطة ، وإرادة الله الطليقة .

٢ ـ أن نعلم بعض ما يقع فى يوم الفصل .

٣ ـ أن نتعرف على مصارع الغابرين وما تشير إليه من سنن الله فى المكذبين .

المحتوى التربوى :

يمضى السياق فيذكر الاتصال بالله ذكراً وعبادة ودعاء وتسبيحا ليلا طويلا،فالطريق طويل، والعبء ثقيل ولابد من الزاد الكثير والمدد الكبير ، وهو هناك حيث يلتقى العبد بربه فى خلوة وفى نجاء ، وفى تطلع وفى أنس تفيض منه الراحة على التعب والضنى ، وتفيض منه القوة على الضعف والقلة ، وحيث تنفض الروح عنها صغائر المشاعر والشواغل ، وترى عظمة التكليف ، وضخامة الأمانة فتستصغر ما لاقت ، وما تلاقى من أشواك الطريق ، والله رحيم كلف عبده الدعوة ونزل عليه القرآن ، وعرف متاعب العبء ، فلم يدع نبيه ﷺ بلا عون أو مدد .

يقول صاحب الظلال : « الحقيقة التى ينبغى أن يعيش فيها أصحاب الدعوة إلى الله هى هذه الحقيقة التى لقنها الله لصاحب الدعوة الأولى ﷺ ؛ هى أن التكليف بهذه الدعوة تنزل من عند

الله فهو صاحبها ، وأن الحق الذى تنزلت به لا يمكن مزجه بالباطل الذى يدعو إليه الآثمون الكفار ، فلا سبيل إلى التعاون بين حقها وباطلهم ، أو الالتقاء فى منتصف الطريق بين القائم على الحق والقائمين على الباطل ، فهما نهجان مختلفان ، وطريقان لا يلتقيان ، فأما حين يغلب الباطل يفوته وجمعه على قلة المؤمنين وضعفهم لحكمة يراها الله ، فالصبر حتى يأتى الله بحكمه ، والاستمداد من الله والاستعانة بالدعاء والتسبيح ليلا طويلا : هى الزاد المضمون لهذا الطريق ، إنها حقيقة كبرى لابد أن يدركها ويعيش فيها رواد هذا الطريق » .

ثم يمضى السياق فى توكيد الافتراق بين منهج الرسول ﷺ ومنهج الجاهلية ، بما يقرره من غفلتهم عن رؤية الخير لأنفسهم ، ومن تفاهة اهتماماتهم ، وصغر تصوراتهم ، فهؤلاء القريبى المطامح والاهتمامات ، الصغار المطالب والتصورات ، هؤلاء الصغار الزهيدين الذين يستغرقون فى العاجلة ، ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ، ثقيلا بتبعاته ، ثقيلا بنتائجه ، ثقيلا بوزنه فى ميزان الحقيقة ، إن هؤلاء لا يطاعون فى شىء ولا يتبعون فى طريق ، ولا يلتقون مع المؤمنين فى هدف ولا غاية ، وتوحى الآية بغفلتهم عن رؤية الخير لأنفسهم ، فهم يختارون العاجلة ، ويذرون اليوم الثقيل الذى ينتظرهم هناك بالسلاسل والأغلال والسعير بعد الحساب العسير .

يتلو ذلك التهوين من أمرهم عند الله الذى أعطاهم ماهم فيه من قوة وبأس ، وهو قادر على الذهاب بهم وتبديل غيرهم منهم ،و لكنه يتركهم لحكمة يجرى بها قدره القديم ، وهذه اللفتة تذكر هؤلاء الذين يعتزون بقوتهم بمصدر القوة ، بل مصدر وجودهم ابتداء ، وتطمئن المؤمنين الضعف إلى أن هو واهب القوة هو الذى ينتسبون إليه ، وإذا شاء أتى بقوم آخرين غيرهم ، وهذه السورة تذكرهم فمن شاء اهتدى بالقرآن ، ولا يقدر أحد أن يهدى نفسه ، ولا يدخل فى الإيمان ولا يجر لنفسه نفعا ، فهذا كله ينتهى إلى قدر الله الذى يلجأ إليه الملتجئ ، فيوفقه إلى الذكر والطاعة ، فإذا لم يعرف فى قلبه حقيقة القدرة المسيطرة فلا هدى ولا ذكر ، ومن ثم فهو يهدى من يشاء ويضل من يشاء ، فمن يهده فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ، والظالمون قد أملى وأمهلهم لينتهوا إلى هذا العذاب الأليم .

سورة المرسلات

الله سبحانه يقسم فى مطلع هذه السورة على أن هذا الوعد بالآخرة واقع ، وصيغة القسم توحى ابتداء بأن ما يقسم الله به هو من مجاهيل الغيب ، وقواه المكنونة ، المؤثرة فى هذا الكون وفى حياة البشر ، وقد اختلف السلف فى المرسلات ، فقال بعضهم : إنها الرياح مطلقا ، وبعضهم : أنها الملائكة مطلقا ، وبعضهم : إن بعضها يعنى هذا وبعضها يعنى هذا ، وهذا الغموض أنسب شىء للقسم بها على الأمر الغيبى المكنون فى علم الله ، وأنه واقع ، ويأتى القسم بالملائكة المرسلة

أرسالا متوالية ، كأنها عرف الفرس فى إرسالها وتتابعها ، ثم بالرياح الشديد الهبوب ، بالملائكة تنشر أجنحتها فى الجو عند انحطاطها بالوحى أو هى الرياح التى تنشر السحاب فى آفاق السماء ، ثم يأتى القسم بالملائكة ؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل وتلقى إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق وإنذار .

ونحن نلمح أن التهويل بالتجهيل ملحوظ فى هذه الأمور المقسم بها ، وأن هذا الخلاف فى شأنها دليل على إبهامها ،و كل مقطع من مقاطع السورة بعد ذلك هو هزة ، كالذى يمسك بخناق أحد فيهزه هزاً ، وهو يستجوبه عن ذنب ، أو عن آية ظاهرة ينكرها ، ثم يطلقه على الوعيد والتهديد ، وبعد ذلك تأتى الهزة العنيفة بمشاهد الكون المتقلبة فى يوم الفصل الذى هو الموعد المضروب للرسل لعرض حصيلة الرسالة فى البشرية جميعا ، فيوم تطمس النجوم فيذهب نورها وتفرج السماء أى تشق ، وتنسف الجبال فهى هباء ، وإلى جانب هذا الهول فى مشاهد الكون ، تعرض السورة أمراً عظيما آخر مؤجلا إلى هذا اليوم ، هو موعد الرسل لعرض حصيلة الدعوة ، ولأى يوم أجلت وأرجئ أمرها ؟ ليوم الفصل ، وفى التعبير تهويل لهذا الأمر العظيم يوحى بضخامة حقيقته حتى لتتجاوز مدى الإدراك .

ويأتى الإنذار المخيف من العزيز الجبار فى مواجهة الهول السائد فى الكون ، والجلال الماثل فى مجلس الفصل بمحضر الرسل ، وهم يقدمون الحساب الأخير فى الموعد المضروب لهم ، هذا الإنذار فى هذا الأوان له طعمه ، وله وزنه ، وله وقعه المزلزل الرهيب ، ثم يعود بهم السياق من هذه الجولة فى أهوال يوم الفصل ، إلى جولة فى مصارع الغابرين الأولين والآخرين ، هكذا فى ضربة واحدة تتكشف مصارع الأولين وهم حشود وفى ضربة واحدة تتكشف مصارع الآخرين وهم حشود ، وعلى مد البصر تتبدى المصارع والأشلاء ، وأمامها ينطلق الوعيد ناطقا بسنة الله فى الوجود بأن هذا ما يفعله الله بالمجرمين ، وهى السنة الماضية التى لا تحيد .

وبينما المجرمون يتوقعون مصرعا كمصارع الأولين والآخرين، يجىء الدعاء بالهلاك ، ويجىء الوعيد بالثبور للمكذبين ، فويل لهم من عذاب الله غدا .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ كل شىء فى هذا الكون يتم بإرادة الله تعالى ، وليس هناك من يستطيع أن يخرج عن مشيئة الله وقدره .

٢ ـ تعظيم الله ـ تعالى ـ لملائكته الذين لا يعصونه فى أمر ، وتعظيمه للرياح .

٣ ـ سنن الله فى الكون لا تتخلف ، فكما أهلك الله الأمم السابقة لتكذيبهم الرسل ، فهو يهلك الكافرين الذين كذبوا محمداً ﷺ .

معانى الكلمات :

مهين : ضعيف حقير .

كفاتا : وعاء تضم الأحياء على ظهرها .

رواسى شامخات: جبالا ثوابت مرتفعات .

ماء فراتا : حلوا عذبا .

ظل : هو دخان جهنم .

ثلاث شعب : يتفرع منها ثلاث فرق .

بشرر كالقصر : كل شرارة منه مثل البناء المرتفع .

جمالة صفر: إبل صفر كثيرة سريعة الحركة.

الأهداف الإجرائية والسلوكية :

١ ـ أن نتعرف على قدرة الله الطليقة .

٢ ـ أن نعلم مصير المجرمين فى الآخرة .

٣ ـ أن نعلم مصير المؤمنين المتقين .

المحتوى التربوى :

من الجولة فى المصارع والأشلاء إلى جولة فى الإنشاء والإحياء مع التقدير والتدبير للصغير وللكبير ، وهى رحلة مع النشأة الجنينية طويلة عجيبة ، يجملها السياق هنا فى لمسات معدودة ، ماء مهين يودع فى قرار الرحم المكين إلى قدر معلوم وأجل مرسوم ، وأمام التقدير الواضح فى تلك النشأة ومراحلها الدقيقة يجىء التعقيب الموحى بالحكمة العليا التى تتولى كل شىء بقدره فى إحكام مبارك جميل ، وأمام التقدير الذى لا يفلت منه شىء يجىء الوعيد المعهود بالويل للمكذبين فى يوم القيامة .

يقول صاحب الأساس : « وممن تكلم (عن القرار المكين) الدكتور الطبيب (خالص كنجو) فى كتابه : (الطب محراب للإيمان) الجزء الثانى ... ومن كلامه فى هذا البحث : « إن القرآن تحدث ببعد لغوى لم يكن فى وقته فى الواقع من التشريح والفيزيولوجيا ، وعلم النسج ، وعلم

التوليد الطبيعى والمرضى ، وعلم النسائية ومع تفتح الإمكانيات وكشف أسرار الجسم لوحظ أن الآية ذات تحليق خالد حقا على العديد من المستويات ولنحاول الآن أن نتناول وحدات من البحث ، ونغوص فى درجات البحث العلمى بهدوء .

تصفيح عظمى : لنحاول إلقاء نظرة تشريحية لنعرف قرار الرحم الفراغى ، إن الرحم يمكن اعتباره من الوجهة الفراغية فى منتصف الجسم تمامًا طولا ، وعرضا ، وعمقا ، وهكذا فهو يتلقى الحماية من كافة الجهات ، غير أن هناك حماية مهمة على مستوى الحوض ، حيث إن مكونات الحوض هى عظم العجز والعصعص بالخلف ، ومن الجانبين والأمام يوجد عظمان هما عظما الحرقفة ، هذا العظم هو حلقة الاتصال ما بين العمود الفقرى فى الأعلى والعجز بالخلف ، وعظم الفخذ من الأسفل وهو ما يسمى بالزنار الحوضى ، وهنا ملاحظتان :

الأولى : أن هذا العظم يحمى الرحم تماما ، ويكون جوفا يستقر الرحم فيه بحماية من كافة الجوانب .

والثانية : أن هذه الحماية يجب أن تتلاءم مع وظيفة أخرى وهى التناسب مع شكل الجنين ؛ لأن أية زيادة طفيفة فى الطول ، أو الارتفاع ، أو العمق أو الثنيات والحفر يجعل دخول الجنين وخلاصه مستحيلا .. » .

ثم تأتى جولة فى هذه الأرض ، وتقدير الله فيها لحياة البشر ، وإيداعها الخصائص الميسرة لهذه الحياة ، ألم يجعل الأرض كفاتا تحتضن بنيها أحياء وأمواتا ، وجعل فيها جبالا رواسى ثابتات شامخات أرسى بها الأرض ؛ لئلا تميد وتضطرب ، تتجمع على قممها السحب ، وتنحدر عنها مساقط الماء العذب ، أفيكون هذا إلا عن قدرة وتقدير ، وحكمة وتدبير ؟ أفبعد هذا يكذب المكذبون ، فويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره .

ثم ينتقل السياق فجأة إلى موقف الحساب والجزاء فنسمع الأمر الرهيب للمجرمين المكذبين، ليأخذوا طريقهم إلى العذاب الذى كانوا به يكذبون فى تأنيب مرير وإيلام عسير ، فانطلقوا بعد الارتهان والاحتباس فى يوم الفصل الطويل ولكن إلى أين ؟ إنه انطلاق خير منه الارتهان ، انطلقوا فها هو ذا أمامكم حاضر مشهود ، انطلقوا إلى ظل لدخان جهنم تمتد ألسنته فى ثلاث شعب ، ولكنه ظل خير منه الوهج ، فهو ظل خانق حار لافح ، وتسميته بالظل ليست إلا امتداداً للتهكم ، وتمنية بالظل تتكشف عن حر جهنم ، انطلقوا .. وإنكم لتعرفون إلى أين، وتعرفونها هذه التى تنطلقون إليها ، فلا حاجة إلى ذكر اسمها ، فهى ترمى بشرر يتتابع فى حجم البيت من الحجر ، وهذا الشرر إذا تتابع بدا كأنه جمال صفر ترتع هنا وهناك ، هذا هو الشرر فكيف بالنار التى ينطلق منها الشرر ؟ ! وفى اللحظة التى يستغرق فيها الحس بهذا الهول ، يجىء التعقيب المعهود بالويل يوم القيامة للمكذبين .

ثم يأخذ فى استكمال المشهد بعد عرض الهول المادى فى صورة جهنم ، بعرض الهول النفسى الذى يفرض الصمت والكظم ، فالهول هنا يكمن فى الصمت الرهيب ، والكبت الرعيب ، والخشوع المهيب ، الذى لا يتخلله كلام ولا اعتذار ، فقد انقضى وقت الجدل ومضى وقت الاعتذار ، ولا يبقى إلا الويل للمكذبين ، وفى مشاهدة أخرى يذكر حسرتهم وندامتهم وحلفهم ومعاذيرهم ، واليوم طويل يكون فيه هذا ويكون فيه ذاك ، ولكنه هنا يثبت اللقطة الصامتة الرهيبة ، فهذا يوم الفصل لا يوم الاعتذار ، وقد جمعنا والأولين أجمعين ، فإن كان لكم تدبير فدبروه ، وإن كان لكم قدرة على شىء فافعلوه ، ولا تدبير ولا قدرة ؛ إنما هو الصمت الكظيم على التأنيب الأليم ، والويل للمكذبين .

فإذا انتهى مشهد التأنيب للمجرمين ، اتجه الخطاب بالتكريم للمتقين ، فالمتقون فى ظلال ، ظلال حقيقية فى هذه المرة ، وفى عيون من ماء لا فى دخان خانق يبعث الظمأ الحرور ، ولهم من سائر أنواع الثمار ، مهما طلبوا وجدوا ، وهم يتلقون فوق هذا النعيم الحسى التكريم العلوى على مرأى ومسمع من الجموع ، فيقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم ، ويا لطف هذا التكريم من العلى العظيم ، والويل للمكذبين يوم القيامة يقابل هذا النعيم والتكريم .

وهنا تعرض فى خطفة سريعة رقعة الحياة الدنيا التى طويت فى السياق ، فإذا نحن فى الأرض مرة أخرى ، وإذا التبكيت والترذيل يوجهان للمجرمين ، وهكذا تختلط الدنيا بالآخرة فى مشهدين معروضين كأنهما حاضران فى أوان، وإن كانت تفرق بينهما أزمان وأزمان ، فبينما كان الخطاب موجها للمتقين فى الآخرة ، إذا هو موجه للمجرمين فى الدنيا ، وكأنما ليقال لهم : اشهدوا الفارق بين الموقفين ، وكلوا وتمتعوا قليلا فى هذه الدار ، لتحرموا وتعذبوا طويلا فى تلك الدار .

ثم يتحدث معجبا من أمر القوم ، وهم يدعون إلى الهدى فلا يستجيبون مع أنهم يبصرون هذا التبصير وينذرون هذا النذير ، والذى لا يؤمن بهذا الحديث الذى يهز الرواسى وبهذه الهزات التى تزلزل الجبال ، لا يؤمن بحديث بعده أبداً ، إنما هو الشقاء والتعاسة والمصير البائس ، والويل المدخر لهذا الشقى المتعوس الذى همه الأكل والمتاع ، الرافض الخضوع لله والصلاة له ، الذى لا يؤمن بالقرآن ويكذب بيوم الدين ، ويكذب بخلق الله الأشياء ،ويكذب بالرسل عليهم الصلاة والسلام .

ما ترشدنا إليه الآيات تربويًا :

١ ـ من يكذب بالقرآن لا يمكن أن يصدق بشىء آخر .

٢ ـ قدرة الله المحيطة بالإنسان مدعاة للإيمان .

٣ ـ لا عذر للناس عند الله فى كفرهم وعدم تصديقهم لما أخبرهم به ربهم على ألسنة الرسل من غيب .